مفهوم رأس المال الاجتماعى

وليد رشاد *

يعد مفهوم رأس المال الاجتماعى Social Capital من المفاهيم التى ذاع صيتها فى الآونة الأخيرة على الرغم من أن تحليلات المفهوم تضرب بجذور بعيدة عبر ساحة التنظير. ويدرك المتأمل للمفهوم إلى اتساع محيط تطبيقاته على ساحة العلوم الإنسانية بشكل عام وعلم الاجتماع والعلوم السياسية بشكل خاص. وبالرغم من ذلك يرى ميلام وزملاؤه Millam (٢٠٠١) أن مصطلح رأس المال الاجتماعى لا يحمل فكرة جديدة لعلماء الاجتماع لأنه من المعروف أن الترابط والمشاركة داخل الجماعات لها آثاراً إيجابية على الفرد والمجتمع، وهذا هو جوهر المصطلح، والذى يمكن رده إلى كل من دوركايم وماركس(١). وفى خضم هذا السياق تطرح الرؤية التالية لمفهوم رأس المال الاجتماعى عند رواده، وتنظر إلى المفهوم على أنه مجرد تجريد لقضايا واقعية، وتبحث فى نهاية الورقة لأوجه التقاطعات بين المفاهيم المختلفة لرأس المال الاجتماعى.

يدرك المتأمل للمفهوم على ظهوره بشكل بارز فى أعمال برديو Pierre Pourdieo، ثم تطور بشكل واضح فى أعمال جيمس كولمان Jemes Coleman وروبرت بوتنام Robert Putnam، ورونالد بيرت Ronald Pert، وغيرهم، ويعد إسهام برديو هو الأكثر بروزًا فى علم الاجتماع، إلا أنه لم يقدر له أن يكون الأكثر تأثيراً، فالتأثير الأكبر كان مع جيمس كولمان، أما الأفضل فى الكتابات السياسية فيرجع إلى روبرت بوتنام (٢).

* مدرس علم الاجتماع، قسم بحوث الاتصال الجماهيرى والثقافة، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.

المجلة الاجتماعية القومية، المجلد الثانى والخمسون، العدد الأول، يناير ٢٠١٥.

قدم بورديو Pieer Bourdieu، مفهوم رأس المال الاجتماعى (١٩٨٦) على أنه جزء من نظريته عن أنواع رأس المال وتحولاته، حيث ارتبط هذا المفهوم بنظرية المجال عنده وقدم له على أنه" مجموع الموارد الفعلية التى يمتلكها الفرد من امتلاكه شبكة قوية من العلاقات والاعتراف المتبادل[٣].

وقد ركز كولمان Jemes Coleman (١٩٩٠) فى تعريفه لرأس المال الاجتماعى على وظيفته "فيذهب إلى القول إن تعريف رأس المال الاجتماعى يتم من خلال وظائفه، وهو ليس كياناً مفرداً ولكنه مجموعة متنوعة من الكيانات التى تمتلك صفتين مشتركتين كلها تتألف وتتكون من شكل من أشكال البنية الاجتماعية، وتسهل وتمكن أفعالاً معينة بواسطة الأفراد داخل هذه البنية، " ويشير كولمان إلى أن رأس المال الاجتماعى إنتاجى ومنتج يمكن من خلاله تحقيق غايات معينة لا يمكن تحقيقها فى عدم وجوده" وقد أشار كولمان إلى أن هذا المفهوم يظهر من خلال أشكاله التى تتمثل فى الالتزامات والتوقعات وإمكانية حيازة المعلومات والمعايير والجزاءات الفعالة[٤] كما أشار إلى أن رأس المال الاجتماعى مصدر من مصادر التنمية، ويمكن أن يشكل فائدة للأطفال والمراهقين فى تطوير رأس مالهم البشرى[٥].

وقد أشار "فلاب" Flap (١٩٩١) إلى أن رأس المال الاجتماعى يتضمن موارد اجتماعية يمكن حشدها وتعبئتها نحو تحقيق الأرباح والفوائد الكبيرة ولقد حدد "فلاب" ثلاثة عناصر أساسية لرأس المال الاجتماعى:

١- عدد الأفراد الذى يكون الشبكة الاجتماعية التى يمتلكها الفرد، ومدى التزام هذا العدد بتقديم المساعدة عند اللجوء إليهم أو طلبها منهم.
٢- قوة العلاقة، والتى تؤثر على مدى الاستعداد للمساعدة.
٣- الموارد التى يحوزها هؤلاء الأفراد الذين يكونون الشبكة الاجتماعية[٦].

أما بوتنام Robert Putnam (١٩٩٥) فقد أشار إلى أن هناك تآكلا فى رأس المال الاجتماعى على مستوى المجتمع الأمريكى فى مقاله الشهير البولنج وحدها،

وقد عرف المفهوم بأنه "مميزات اجتماعية منظمة تتضمن الشبكات والمعايير والثقة الاجتماعية التى تسهل التنسيق والتعاون والمنفعة المتبادلة[٧].

وعرف بورتوس Alejandro Portes وزميله لاندولت Landolt (٢٠٠٠) رأس المال الاجتماعى بأنه"القدرة على ضمان الموارد بواسطة العضوية فى الشبكات الاجتماعية "وأشار الباحثان عند محاولة استعراض أدبيات مفهوم رأس المال الاجتماعى إلى أن هناك أسرة ثلاثية يمكن الخروج بها من استعراض التراث البحثى للمفهوم فى علم الاجتماع، أولها أن رأس المال الاجتماعى يعتبر مصدرًا للتحكم والضبط الاجتماعى، وثانيها أنه يمثل مصدراً للشبكات الأسرية، وثالثها أنه مصدر للموارد التى يمكن الحصول عليها عبر الشبكات غير الأسرية[٨]. وقد ذهب مالونى Maloney وزملاؤه (٢٠٠١) إلى أن رأس المال الاجتماعى على خلاف رأس المال الفيزيقى ورأس المال البشرى فى أنه لا يعتبر ملكا لشخص ما أو مؤسسة ما، فهو متلازم فى العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وموجه أساسا نحو تسهيل العمل الجمعى وشبكة الثقة المرتبطة بالعمل الجمعى[٩].

وعرف نان لين (٢٠٠١) رأس المال الاجتماعى فى كتابه رأس المال الاجتماعى نحو نظرية فى البناء والفعل الاجتماعى بأنه"الاستثمار فى العلاقات الاجتماعية مع توقع العوائد والأرباح فى ساحة الأسواق". ويتطابق هذا مع المعطيات والمقدمات التى طرحها العلماء حول المفهوم. والسوق الذى سوف يتم اختياره للتحليل قد يكون اقتصاديًا أو سياسيًا أو العمل أو المجتمع المحلى[١٠].

ويشارك الأفراد فى التفاعلات وإقامة الشبكات الاجتماعية بهدف إنتاج الأرباح والفوائد، وأشار إلى أن كل نظريات رأس المال الجديدة التى تمت مناقشتها حتى الآن– مثل رأس المال البشرى، رأس المال الثقافى– ترى رأس المال باعتباره استثمارًا فى الموارد الشخصية بهدف إنتاج الربح، إلا أنهم يختلفون فى رؤيتهم لطبيعة هذا الإنتاج (المهارات والمعرفة مقابل القيم والمعايير) وتلك الفائدة والأرباح (المردود

الاقتصادى للأفراد مقابل إعادة إنتاج الثقافة السائدة) كل منهما يتناول رأس المال كموارد مستثمرة وراسخة فى الفاعلين الأفراد.

ورأس المال الاجتماعى أيضا هو نتاج الفاعلين الأفراد، سواء كانوا عناصر مستقلة كما فى حالة رأس المال البشرى، أو كأفراد وجماعات يتم إكسابهم القيم الثقافية السائدة كما فى حالة رأس المال الثقافى. على هذا الأساس طرح لين لرأس المال الاجتماعى بأنه"الموارد الكامنة فى الشبكات الاجتماعية والتى يتم الوصول إليها واستخدامها بواسطة الفاعلين لتسهيل أفعالهم". وبناء على ذلك يتضمن هذا المفهوم عنصرين مهمين الأول: يمثل الموارد الكامنة فى العلاقات الاجتماعية، والثانى: الوصول إلى هذه الموارد واستخدامها من قبل الأفراد(١١).

وقد وسع نادر الفرجانى دائرة المفهوم (٢٠٠٢) ليشير إلى رأس المال المجتمعى الذى يتبلور من تكامل أنماط وصور رأس المال الاجتماعى والسياسى والثقافى والفكرى فى رأس مال عماده الأنساق التى تنظم البشر فى هياكل مؤسسية، ويتعامل رأس المال المجتمعى مع الناس على أنهم مؤسسات وليسوا أفرادًا(١٢). وقد حدد فريق سبيا للإحصاءات الاجتماعية ٢٠٠٣ التابع للأمم المتحدة بمنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية رأس المال الاجتماعى على أنه قيم مشتركة تنشأ من الشبكات الاجتماعية تولد إحساسًا لدى الفرد بروح الجماعة وتشترط سمات أساسية منها: المواطنة وحسن الجوار وشبكات اجتماعية واشتراك مدنى وشبكة معايير وقيم(١٣).

وعند استعراض أحمد زايد وآخرون (٢٠٠٦) لمفهوم رأس المال الاجتماعى أشاروا إلى أن أرصدة رأس المال الاجتماعى توجد لصيقة بالبناء الاجتماعى، ولكنها لكى تؤدى غرضها لابد من ارتباطها بالفعل الاجتماعى، وأشاروا إلى أن هناك مصدرين لرأس المال الاجتماعى يتمثل الأول فى العلاقات والشبكات والثانى فى منظومة القيم التى تحرك المفهوم والتى يأتى على رأسها الثقة والشفافية والتعاون وقبول الآخر(١٤)، ويقترب هذا التصور للمفهوم من التصور الذى قدمته سارة فيرلاندر Sara Ferlonder (٢٠٠٧) حيث أشارت إلى أن مفهوم رأس المال الاجتماعى يتمثل

فى عنصرين أساسيين الأول هيكلى وتدور تعريفاته حول ثلاثة عناصر هى الشبكات الاجتماعية والمعايير والثقة، والثانى إدراكى يضم القيم التى تسهم فى تشكيل رأس المال الاجتماعى، وعرفته بأنه شبكة من العلاقات الاجتماعية تسهل التنسيق والتعاون والمنفعة المتبادلة، وتتعدد أشكال الدعم المتولدة من رأس المال الاجتماعى لتشمل: الدعم العاطفى الذى يتشكل من خلال التعاطف الشخصى، والدعم العملى الذى يحول فكرة التعاطف إلى الدور الفعال، والدعم المعلوماتى(١٥).

وقد أعتبر جيرومى بالليت وآخرون ٢٠٠٧ Jerome Ballet رأس المال الاجتماعى بأنه الحلقة المفقودة فى التحليلات الاقتصادية والسياسات العامة، ويتضمن شكلين الأول خارجى يمكن أن يلاحظ من خلال العلاقات الشبكية والثقة والمعايير المتبادلة بين الأفراد، والآخر داخلى لا يمكن ملاحظته بشكل مباشر فهو مستقر فى أذهان الناس ويستدل عليه من خلال تفاعلاتهم، وفى هذا الصدد اعتبروا رأس المال الاجتماعى "مصادر متوافرة للأفراد فى سياق اجتماعى تحدث داخل سياق ثقافى يتكون من خلال الاتصالات المشتركة والقيم بما يحول رأس المال الاجتماعى إلى رأس مال ثقافى"(١٦).

وحدد كل من ميل إيفنز Mel Evans وستيفن سيريتى Stephne Syrett (٢٠٠٧) رأس المال الاجتماعى على أنه "روابط الجماعة الإضافية التى تتشكل من استغلال علاقة الفرد بجماعة معينة"، ويتضمن المفهوم علاقات تربط بين الأفراد والجماعات فى الطبقات الاجتماعية المختلفة تتدرج من حيث القوة والثروة، ويتسم رأس المال الاجتماعى بأنه متراكم بمرور الوقت(١٧)، وقد تدرج شارون جيبسون Sharon K. Gibson فى ربط رأس المال الاجتماعى بغيره من الأنماط الأخرى من رأس المال، حيث أشار إلى تعدد رأس المال فهناك رأس مال اقتصادى يتضمن استغلال الموارد لتحقيق أرباح اقتصادية، ورأس مال بشرى يتضمن الاستثمار فى التعليم والتدريس لإنتاج المهارات المعرفية، بينما يتضمن رأس المال الاجتماعى"

استثمار فى الروابط الاجتماعية لتتمكن من الدخول إلى شبكات من العلاقات الاجتماعية مع الآخرين"[١٨] .

وقد ربط جيمس بووى وجيوف إستون ٢٠٠٧ James L.Bowey & Geofe Easton بين مفهوم رأس المال الاجتماعى والطبيعة النفسية إذ عرفا المفهوم بأنه عقود نفسية خفية بشكل كبير تسهم فى توليد علاقات اجتماعية غنية . قد لا تكون واضحة ولكن تؤسس على ثلاثة عناصر: التاريخ والقوة وإدراك أهمية العلاقة[١٩]. وعرف خالد كاظم (٢٠٠٩) فى دراسته حول دور أشكال رأس المال فى تشكيل النخب الاجتماعية على أنه" جملة الموارد التى يمكن أن يحوزها الفرد بشكل مباشر من خلال شبكات العلاقات الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية، أو يحوزها بشكل غير مباشر من خلال شبكات العلاقات الاجتماعية للأفراد الآخرين، والتى يملك الوصول إليها، ويبذل الوقت والجهد فى تدوير هذه الموارد بهدف تحقيق المكانة الاجتماعية المتميزة" [٢٠] .

وقد أشار كابتشى Kapucu (٢٠١١) عند استعراضه لتعريفات رأس المال الاجتماعى فى دراسته عن رأس المال الاجتماعى والارتباط المدنى على التركيز على الوظيفة التى يلعبها رأس المال الاجتماعى. وفى هذا الإطار حدد ثلاث وظائف لرأس المال الاجتماعى تتمثل فى [٢١]:

١- يسهل رأس المال الاجتماعى الوصول إلى المعلومات والمعرفة، فكلما أمتلك الفرد درجة عالية من رأس المال الاجتماعى كلما زادت فرصته فى امتلاك المعلومات والمعارف.

٢ - رأس المال الاجتماعى له قوة وسيطرة، إذ أن امتلاكه يسهم فى زيادة فرص القيادة.

٣ - رأس المال الاجتماعى يسهم فى عملية التضامن الاجتماعى والمشاركة السياسية والعولمة، ووصف رأس المال الاجتماعى على أنه" شكل من أشكال التفاعلات

والشبكات الجمعية يمارس دورًا فى الأنشطة الاجتماعية كعملية محورية لإنجاز الأهداف".

وقد ربط كاميل Kamil (٢٠١٢) بين رأس المال الاجتماعى والمشاركة السياسية والعولمة، ووصف رأس المال الاجتماعى على أنه شكل من أشكال التفاعلات والشبكات الجمعية يمارس دورًا فى الأنشطة الاجتماعية كعملية محورية لإنجاز الأهداف"[٢٢].

وفى خضم عرض المفهوم لا يمكن إغفال التطورات التى لحقت به من خلال الثورة التكنولوجية وبزوغ الحيز السيبرنطيقى حيث برز مفهوم رأس المال الاجتماعى الافتراضى Virtual Social Capital كأحد التطورات التى لحقت بالمفهوم. ولقد أفرد له نان لين فصلاً كاملاً فى كتابه عن رأس المال الاجتماعى: نظرية البناء الاجتماعى والفعل. كما عرف وليد رشاد (٢٠١٢) رأس المال الاجتماعى الافتراضى على أنه موارد كامنة فى شبكة العلاقات الاجتماعية المتشكلة عبر الفضاء المعلوماتى يمكن تعبئتها لتحقيق عوائد على الصعيد الافتراضى والواقعى"[٢٣].

ويمكن فى النهاية الخروج باستنتاج نظرى حول مفهوم رأس المال الاجتماعى على أنه شبكة من العلاقات الاجتماعية التى يمتلكها الأفراد أو الجماعات تسهم فى تقديم منافع ومردودات إيجابية نافعة على الأفراد والجماعات".

وتجدر الإشارة فى هذا السياق إلى أن الباحث تبنى وجهة تفاؤلية حول المفهوم، إذ أن هناك جوانب سلبية ومردودات غير إيجابية لرأس المال الاجتماعى متمثلة فى الاتجار بالبشر وتجارة المخدرات، وغيرها من الأنشطة غير الأخلاقية.

وثمة تقاطعات تكشف عنها الوجهة المفاهيمية السابقة ويمكن استخلاصها فى السياق التالى:

١- رأس المال الاجتماعى ليس بديلا عن الأشكال الأخرى لرأس المال: يرتبط رأس المال الاجتماعى بغيره من الأشكال الأخرى لرأس المال، ويكفى أن نضرب مثالاً هنا

بالعلاقة بين رأس المال الاجتماعى والبشرى، فهذه العلاقة تتأسس على اعتبار أن ما يملكه الفرد من رصيد شخصى أو اجتماعى إنما يشكل رصيدًا إنسانيًا. فإذا كان مفهوم رأس المال البشرى يتأسس على فكرة التدريب والتأهيل حتى يتمكن الفرد من الوصول إلى درجة عالية من الكفاءة، فربما يسهل الوصول إلى هذه الكفاءة رأس المال الاجتماعى[٢٤].

٢- تضيق وتتسع تحليلات رأس المال الاجتماعى وفقا للتوجهات النظرية: الملاحظ فى معظم الكتابات أن رأس المال الاجتماعى لا يتشكل بشكل عارض ولكن يتشكل وفق بنية من العلاقات الاجتماعية التى تقوم على أساس من الثقة المتبادلة بين الأفراد أو الجماعات، ومعظم منظرى رأس المال الاجتماعى يفسرونه بالنظر إليه على أنه مكون من مكونات البناء الاجتماعى. ويمكن القول إن رأس المال الاجتماعى يتشكل بشكل علائقى فى إطار دينامى ومعقد من العمليات الاجتماعية إلا أن هناك بعض الاعتبارات التى حدثت بشأنها اختلافات عند تحديد مفهوم رأس المال الاجتماعى تبعا للتوجهات النظرية، إذ استند تحليل برديو إلى مستويات صغيرة وركز على التوقعات المتبادلة بين الناس، بينما ركز كولمان على رأس المال من خلال النظر إليه على أنه منتج جماعى يمكن اشتقاق منافع فردية منه[٢٥].

٣- يحتاج رأس المال الاجتماعى فى تشكله إلى منظومة قيمية: ربطت معظم الكتابات والتطبيقات التى أجريت على المفهوم بينه وبين القيم الداخلة فى تركيبه، والتى من أبرزها الثقة والمعايير والانتماء والتعاون وقبول الآخر وعلاقات التبادل البناء.

٤- ليس كل شبكة علاقات تمثل رأس مال اجتماعياً: تجدر الإشارة هنا إلى أن ليس كل شبكة علاقات يمتلكها الأفراد أو الجماعات تمثل رأس مال اجتماعيًا، فعلى الرغم من أن هذا المفهوم يتشكل على ساحة العلاقات الاجتماعية، فإن الأمر مرهون باستثمار هذه العلاقات على نحو يحقق فوائد يتردد صداها على أى من الفرد

والمجتمع. فإذا كان الفرد يمتلك شبكة من العلاقات ولم يتم تفعيلها فهذا لا يمثل شكلاً من أشكال رأس المال الاجتماعى.

وفى النهاية يمكن القول إن هذا المفهوم من المفاهيم التى وجدت لها رواجًا فى مجالات كثيرة، إلا أن المفهوم فى حاجة إلى مزيد من المراجعات ومزيد من التطبيقات.

الهوامش

١- Baron, Stephen and Others (eds.), Social Capital, Critical Perspectives, Oxford University Press, 2001, p. 213.

٢-عزت حجازى، رأس المال الاجتماعى كأداة تحليلية فى العلوم الاجتماعية، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد الثالث والأربعون، العدد الأول، يناير، ٢٠٠١، ص ص ٤-٦.

٣- Bourdieu Pierre, The Forms of Capital, In: Richardson,J., (ed.), Hand book Westport of Theory and Research for the Sociology of Education, Ct, Greenwood, 1986, pp.15-29.

٤- Colman, James S., Foundations of Social Theory, The Belknap Press of Harvard University Press Cambridge, Massachusetts, and London, England, 1990, pp. 300-321.

٥- Definition of Social Capital in the Literature 1999 http///: analyticeteach. Com network/ definations -of - social- capital. htm.

٦- Lin, Nan, Social Capital: A Theory of Social Structure and Action, Cambridge University Press, 2001, p. 220.

٧- Putnam, Robert D., Bowling Alone: America's Declining Social Capital, Journal of Democracy, January, 1995, pp.65-78.

٨- Portes, Aalejandro, Partricia Landolt, Social Capital: Promise and Pitfalls of its role in development, Journal of Latin American Studies, Vol. 32, No.2, May, 2000, pp. 529-547.

٩- Baron, Stephen, and others (eds.), op. cit, p. 213.

١٠- Lin Nan, Op. cit. p. 22.

١١- Ibid., pp. 20-22.

١٢- نادر الفرجانى، فى مفهوم النهضة الإنسانية والحاجة لها فى مصر، يونيو ٢٠٠٢.

-http///:almishkat.com/wn.cont.

١٣- Social Capital, Measuring Networks and Shered Values, UN, 2003.

http///:www.Statistics. gov.uk/cci/nugget. Asp?id=314.

١٤- أحمد زايد وآخرون، رأس المال الاجتماعى لدى الشرائح المهنية من الطبقة الوسطى، القاهرة، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦، ص ٩.

١٥- Ferander, Sara, The Importance of Different Forms of Social Capital for Health, Acta Sociological, Vol. 50, 2007, p. 116.

١٦- Bellet Jerome, Siven Nicolos, Melanie Requires, Social(3) and Natural Resource Management, Activical, Perspective, The Journal of Environment Development, Vol. 16, NO. 4, December, 2007, pp. 359-360.

١٧- Evons, Mel, Syrett, Stephen, Generating Social Capital, The Social Economic Development European Urban and Relation ' Studies, Vol.14, 2007,pp. 58-59.

١٨- Gibson, Sharon K., Linking Mentoring and Social Capital: Implications for Career and Organization, Developing Human, Vol. 9, 2007, p. 384.

١٩- James.L, Bowey, Geofe Easton, Entrepreneurial Social Capital. Un plugged, an Activity, Based Analysis, International Small Business Journal, Vol. 25, 2007, pp. 275-276.

٢٠- خالد كاظم، دور أشكال رأس المال فى تشكيل النخب الاجتماعية: دراسة ميدانية على عينة من جماعات النخب فى محافظة سوهاج، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة سوهاج، ٢٠٠٩، ص ٣٥.

٢١- Kapucu, Naim, Social Capital and Civic Engagement, International Journal of Social Inquiry, Vol. 4 No. 1, 2011, p. 26.

٢٢- Demirhan Kamil, Politics in The Globalization: Thinking on the Relations Between Social Capital and Political Participation, International Journal of Social Sciences and Humanity Studies, Vol.4, No. 1, 2012, pp. 232-236.

٢٣- وليد رشاد، المتغيرات المؤسسة لرأس المال الاجتماعى فى المجتمع الافتراضى: دراسة على عينة من المتفاعلين عبر الشبكة الدولية للمعلومات، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠١٢، ص٢٨١.

٢٤- هانى خميس، رأس المال الاجتماعى، مفاهيم، الأسس العلمية للمعرفة، المركز الدولى للدراسات المستقبلية والإستراتيجية، سبتمبر ٢٠٠٨، ص١٢.

٢٥- Lind, Gunnar, (and others), on the Wealth of Nations, Bourdieu Economics and Social Capital, Theory and Society, Vol. 32, 2003, p. 619.